

فرضية عدالة الصجابة بين الوهم والحقيقة

المهندس
عبد
الرفاعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

.. ما يجب أن نعلمه أن الغاية من الدين هو عبادة الله تعالى ، وأن الرجال مهما كانوا ليسوا غاية في ذلك ، إنما هم وسيلة لحمل المنهج عبر التاريخ .. فعندما يُغيب العقل يظهر الهوى ، وعندما يُغيب النور يبدو الظلام ، وعندما يُغيب التدبر الحقيقي لكتاب الله تعالى ، يُحوّل التاريخ برجاله ورواياته إلى أصنام ، وعندما تكون سلطة العاطفة الهوجاء فوق سلطة المنطق والبرهان ، تضيع الحقيقة ..

.. كنا قد بينا حكمة الله تعالى في تدرج رسالاته إلى البشر ، وكيف أنها خُتمت برسالة يتركز فيها المنهج والمعجزة في ذات النص القرآني ، المحفوظ رسماً وقراءةً ، ليأخذ

كلُّ جيلٍ منه ما يجلُّ به مشاكلةُ المُستجِدَّةِ ، وبيِّنا كيفَ أنَّ منهجَ الرسالةِ الخاتمةِ ومعجزتهِ مُجرَّدٌ عن التاريخِ برجالِتهِ ورواياتهِ ، وآثمه محتوًى في ذاتِ النصِّ القرآني ..

.. إنَّ دراسةَ فرضيةِ عدالةِ الصحابةِ ليست انتقاصاً من قَدْرِ أفرادِ الجيلِ الأوَّلِ ، إلَّا إذا اعتبروا أصناماً أهمَّ من المنهجِ ذاتهِ .. فالمنهجُ ذاتهُ يأمرنا اللهُ تعالى بتدبره في الكثير من آياته ، والتدبُّرُ لا يكونُ إلَّا بإعمالِ العقلِ إعمالاً مُجرِّداً عن أيِّ هوىٍّ وعن أيِّ عصبيةٍ مُسبِّقةٍ الصنعِ .. وأهميَّةُ هذه الدراسةِ في فرضيةِ عدالةِ الصحابةِ تأخذُ قيمتها من كَوْنِ علومِ الحديثِ بالنسبةِ للكثيرين ، اتَّكأت على مقدِّمةٍ تتمحورُ في اعتبارِ الصحابةِ فوقَ الجرحِ ، وأنهم عدولٌ بمجرَّدِ ثبوتِ صحبتهم للنبيِّ ﷺ ، ولذلك فالهدفُ من هذه الدراسةِ هو خدمةُ المنهجِ ، وليس الهدفُ التعرُّضَ للأفرادِ كأفرادٍ بقيمتهم الشخصيةِ المُجرَّدة عن تفاعلهم مع منهجِ اللهِ تعالى ..

.. المُلفت في هذه المسألةِ أنَّه لا يُوجدُ إجماعٌ حتَّى على تعريفِ الصحابيِّ .. وكلُّ التعاريفِ التي وُضعت في ذلك ليست أكثرَ من تصوِّراتٍ مُسبِّقةٍ الصنعِ ، مادَّتها قداسةُ التاريخِ على حسابِ المنهجِ ، وقالبها أفكارٌ تهدفُ لتمريرِ الرواياتِ المنسوبةِ إلى رجالِ الجيلِ الأوَّلِ .. فتلك التعاريفُ بما فيها من خلافاتِ ، تنقضُ فرضيةَ العدالةِ من أساسها ..

.. بعضُ التعاريفِ للصحابيِّ تقول : بأنَّ كُلَّ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ رَأَاهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، سواء طالت مجالستهُ له أو قصرت .. وبعضُ التعاريفِ تقول : الصحابيُّ هو كُلُّ مَنْ أدركَ سنَّ الحلمِ وأسلمَ وعقلَ الدينِ ورضيه ممَّن صحبَ النبيَّ ﷺ .. وبعضُ التعاريفِ تقول : الصحابيُّ هو من أقام مع النبيِّ ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين ..

.. وفق التعريفِ الثاني بأنَّ الصحابيِّ هو من أدركَ سنَّ الحلمِ وأسلمَ وعقلَ الدينِ ورضيه .. وفق هذا التعريفِ يخرجُ - على سبيلِ المثالِ لا الحصر - عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ من صفةِ الصحبةِ ، لأنَّ عمره كان عشرَ سنين حين وفاة النبيِّ ﷺ ، ومن المعلوم أنَّه في هذا العمر لا يتمُّ بلوغُ الحلمِ .. والحديثُ التالي يُبيِّنُ ذلك ..

البخاري (٤٦٤٧) :

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ إِنَّ
الَّذِي تَدْعُوهُ الْمَفْضَلُ هُوَ الْمُحْكَمُ قَالَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تُوْفِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ سِنِينَ وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ

.. وكيف يكون الصحابيُّ عدلاً وفوق الجرح بمجرد ثبوت رؤيته للنبي ﷺ ، ونحن
نعلم أن بعض من صاحب النبي ﷺ وعاش معه في ذات الزمان والمكان ، مردوا على
النفاق ، دون أن يعلم ﷺ نفاقهم هذا .. يقول تعالى :

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۗ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى
النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۗ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۗ ﴾ [التوبة : ١٠١] ..

.. أليس هؤلاء تنطبق عليهم صفة الصحابي وفق بعض التعاريف !!!؟ ..

.. إذا كان النبي ﷺ ذاته لا يستطيع الجزم بعدالة جميع أبناء جيله ممن صاحبهم ولا
يعلم بعض الذين مردوا على النفاق كما يبين الله تعالى في كتابه الكريم .. فكيف إذا
يستطيع بعض الرجال من الأجيال اللاحقة الجزم بتزكية كل من صاحب النبي وبأنه
فوق الجرح ، وأن ما يروى عنه صحيح فقط لكونه عاصر النبي ، وكيف يُصنّفون كلاً من
الصحابة في درجة من القربى تصنيفاً لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى !!!؟ ..

.. أليست هذه الآية الكريمة صريحة في نقض تعريف الصحابي العدل بأنه كل من
رأى الرسول ﷺ ، أو أنه كل من عاش معه سنة أو سنتين ، أو أنه كل من بلغ الحلم حين
وفاة النبي ﷺ !!!؟ .. أليس هؤلاء الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة ولا يعلم النبي
ﷺ نفاقهم ، أليسوا تنطبق عليهم تلك التعاريف !!!؟ .. أليست هذه الآية الكريمة صريحة
في نقض درجاتهم التي يصنّفون الصحابة على سلمها تصنيفاً مادته العصبية المسبقة
الصنع ..

.. أليست تعاريف الصحابة التي وضعوها تنطبق على المعنيين بقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۗ ﴾ [الجمعة : ١١] !!!؟ ..

.. أليس المعنيون بالآيات التالية كانوا من أفراد الجيل الأول ، وتنطبق عليهم بعض

تعاريف الصحابي ، كونهم رأوا النبي ﷺ وأقاموا معه ..

﴿ لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٠]

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المنافقون : ١ - ٥]

.. ووفق التعريف الأول [كل من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، سواء طالت مجالسته له أو قصرت] ، وفق صياغة هذا التعريف ، ألا ينطبق هذا التعريف على المعنيين بقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلْهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١١﴾ إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ آخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿١٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤١ - ٤٤]

.. هذا التعريف يقول : من رأى النبي ﷺ هو من أصحابه ، و هؤلاء رأوا النبي ﷺ ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا ﴾ .. !!!!!!!

.. فكيف إذا يكون الصحابيُّ عدلاً وفوق الجرح وما يُروى عنه فوق الشبهة لمُجرّد أنّه رأى النبي ﷺ أو أنّه أقام معه فترةً من الزمن ، دون أيّ اعتبار للنصّ المروي عنه ، ودون أيّ معايرةٍ لذلك النصّ على كتاب الله تعالى ؟!!! ..

.. وإن كان الصحابيُّ هو فقط العدلُ الصادق من رجالات الجيل الأوّل ، فالمشكلة في تعريفهم للصحابي لا تتغيّر أبداً ، لأنّ الجزمَ بعدالة بعض البشر وبتزكيتهم في ذلك ، يتناقى مع عدمِ علم النبي ﷺ ذاته بنفاق بعضهم ، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ ، فتزكية الرجال ، مسألة لا يعلمها إلا الله تعالى .. يقولُ تعالى ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿١١﴾
 أَنْظَرُ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ٤٩ - ٥٠]

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم : ٣٢]

.. أليس الجزمُ بتزكية الرجال للتقوى ، أليست افتراءً بالكذب على الله سبحانه وتعالى وإثماً مبيناً ؟ .. وإلا كيف بنا أن نفهم دلالات هذه الآيات الكريمة ؟!!! .. أم علينا أن نُطلق عقلنا ونعتقد أنّ أفراد الجيل الأوّل مستثنون من أحكام هذه الآية الكريمة ؟!!! .. أليس الحديث التالي الذي يدندنون به صباح مساء ، ينسفُ - من الجذور - كلّ التعاريف التي وضعوها لتحديد مفهوم الصحابي ..

البخاري (٣٣٩٧) :

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْأَعْمَشِ قَالَ سَمِعْتُ ذُكْوَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ تَابَعَهُ جَرِيرٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ وَمُحَاضِرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ

.. لقد ورد النصّ التالي في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصُّ هذا

الحديث :

]] كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء ، فسبه خالد " ،
 فذكر الحديث] [.. إذا الحديث جاء بناءً على حادثة تاريخية سبَّ فيها خالد بن
 الوليد عبدَ الرحمن بن عوف .. ولكن أليس هذا الحديث المنسوب للنبيِّ مُوجَّهاً لرجالات
 الجيل الأوّل الذين كانوا حاضرين قولَ النبيِّ هذا وسامعين له ، بدليل صياغة الحديث ذاته
 : [[قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا
 مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدَهُمْ وَلَا نَصِيفَهُ] [!!!؟ .. فالعبارتان : [[لَا تَسُبُّوا] [] ، [[فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ
 [[مُوجَّهتان لبشرٍ يسمعون هذه العبارات ، وبناءً على تعاريف الصحابي التي وضعوها
 فهؤلاء البشر من الصحابة ، بدليل أنّهم كانوا حاضرين وسامعين للمقولة المنسوبة للنبيِّ
 ﷺ في هذه الرواية .. فكيف إذاً يكون الصحابيُّ الحاضر والسامع لقول النبيِّ ﷺ هذا ليس
 صحابياً ، وأنه لا يبلغ مُدًّا أحدِ الصحابة ولو أنه أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا !!!؟ .. كيف يكون
 ذلك وهو في الوقت ذاته تنطبقُ عليه تعاريف الصحابي !!!؟ ..

.. ولذلك نرى في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري تخريباً لذلك :

]] وغفل من قال إن الخطاب بذلك لغير الصحابة ، وإنما المراد من سيوجد
 من المسلمين المفروضين في العقل ، تنزيلاً لمن سيوجد منزلة الموجود للقطع بوقوعه ،
 ووجه التعقب عليه وقوع التصريح في نفس الخبر بأن المخاطب بذلك خالد بن الوليد وهو
 من الصحابة الموجودين إن ذاك بالاتفاق] [..

.. كيف يمكن لعقل أن يفهم تأويلهم : من سيوجد من المسلمين المفروضين في
 العقل ، تنزيلاً لمن سيوجد منزلة الموجود للقطع بوقوعه !!!؟ .. أليست هذه الرواية جاءت
 خلفَ حادثةٍ سبَّ فيها خالد بن الوليد عبدَ الرحمن بن عوف ؟ .. ألا تنطبقُ صفةُ
 الصحابيِّ على خالد بن الوليد !!!؟ .. أم أن خالد بن الوليد من الذين سيوجدون من
 المسلمين المفروضين في العقل !!!؟ .. أم أن الرواية ليست صحيحة !!!؟ .. أم أنّها
 صحيحة وتعريفُ الصحابي ليس صحيحاً !!!؟ .. وخصوصاً أن هذه الرواية ذُكرت أيضاً
 في كُتُبٍ أُخرى غير البخاري ..

مسلم (٤٦١٠) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ

أبو داود (٤٠٣٩) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ

أحمد (١١١٨٠) :

حَدَّثَنَا هَاشِمٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ ذُكْوَانَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ

ابن ماجه (١٥٧) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ح وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ

.. وهذا الحديث عند ابن ماجه ، نجد له شرحاً آخر .. ولننظر في النص التالي المُقتطع من شرح هذا الحديث : [] قوله (لا تسبوا أصحابي) قيل الخطاب لمن بعد الصحابة تنزيلاً لهم منزلة الموجودين الحاضرين ، وقيل للموجودين من العوام في ذلك الزمان الذين لم يصاحبوه صلى الله تعالى عليه وسلم ويفهم خطاب من بعدهم بدلالة النص ، وقيل الخطاب بذلك لبعض الصحابة لما ورد أن سبب الحديث أنه كان بين خالد بن الوليد

وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد ، والمراد بأصحابي المخصوصين وهم السابقون على المخاطبين في الإسلام ، وقيل ينزل الثاني لتعاطيه بما لا يليق من السب منزلة غيرهم فخطب خطاب غير الصحابة وقال الشيخ تقي الدين السبكي الظاهر أن المراد بقوله أصحابي من أسلم قبل الفتح وأنه خطاب لمن أسلم بعد الفتح]]

.. إذا شُرحَ هذا الحديث بأقوال متناقضة لا تحملها صياغته اللغوية لا من قريب ولا من بعيد .. وكلُّ هذه التفسيرات والتأويلات المتناقضة ، هي بهدف الجمع بين أمرين لا يمكن الجمع بينهما .. يريدون أن يجمعوا بين صحّة الحديث وبين تعريفهم للصحابي ، وهذا أمرٌ مستحيلٌ وفق حيثيات صياغة عبارات هذا الحديث ..

.. كم أستثمر هذا الحديث وأمثاله لذر الرماد في الأعين ، ولتقديم أفراد الجيل الأوّل على أنهم أصنامٌ لا يجوزُ نقدُها ، ولا يجوزُ التشكيكُ بما يُنسبُ إليهم ، وكلُّ ذلك في الوقت الذي لم تُقرأ فيه صياغةُ هذا الحديث قراءةً بحثٍ وتدبّرٍ هادفٍ لمعرفة الحقيقة؟! .. كم من المتاجرة بالتاريخ ورواياته ورجالاته تمّت بناءً على هذه الرواية!!!!!! ..

.. ألم نرَ في المحطّة السابقة ، وفي صحيحي البخاري ومسلم ، كيف أن العباس وعلي في مجلس عمر بن الخطاب وبحضور عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد ، ألم نرَ أنّهما استتبا ، واتّهما بعضهما بالكذب والإثم والغدر والخيانة؟! .. فهل المذكورون في هذه الحادثة ليسوا من الصحابة الأوائل؟! .. أم أنّ هذه الروايات ليست صحيحة ، أم أنّ تعاريفنا للصحابة ليست صحيحة ، أم يُطلبُ منا أن نُطلقَ عقولنا ولا ننظر إلى مثل هذه الروايات بعين التدبّر والبحث عن الحقيقة .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمعَ وهو شهيدٌ ..

.. لا يختلفُ مسلمان باحثان عن الحقيقة على أنّ سبَّ الصحابة وغير الصحابة أمرٌ لا يخدمُ الحقيقة ، فالله تعالى ينهانا أن نسبَّ الذين يدعون من دون الله تعالى ، فكيف إذا بسبَّ الصحابة .. يقولُ تعالى :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا يَكُلُّ أُمَّةٌ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٨]

.. لا أسوأ من سب الصحابة إلا أن يُعطوا قدسيَّة تجعل ما يُنسب إليهم وما يُنقل عنهم بعد قرونٍ منهجاً مُقدَّساً يُطلب منَّا التسليم له كتسليمنا لكتاب الله تعالى .. فسبُّ الصحابة وغير الصحابة أمرٌ يتعلَّق بعدم الأخلاق وعدم نزاهة البحث عن الحقيقة ، ولا يُؤثِّرُ إلا على صاحبه .. بينما رَفَعُهُمْ إلى مستوى العدل فوق الجرح لدرجة أخذ كلِّ ما يُسمَعُ عنهم بعد قرونٍ بأنهم قد قالوه ، هو أمرٌ يتعلَّق بصلب المنهج وعلى مستوى الأمة ، وبالتالي هو أمرٌ أخطرٌ من مسألة عدم التمتع بالأخلاق ..

.. والقول بأنَّ عِلْمَ الجرح والتعديل يحلُّ مشكلة تزكية الرجال ، ومعرفة العدل الصادق منهم ، ومعرفة الكاذب ، من خلال قصي أخبار الرجال .. هذا القول لا يرتقي إلى مستوى العلم الذي يعني الوقوف على حقائق الأمور والأشياء ، ويخلق مشكلة أكبر منها في الحالتين السابقتين .. فتقييم اللاحقين لبعض السابقين بهدف معرفة الصادق العدل منهم ، والجزم بنتيجة هذا التقييم ، واعتبار ذلك علماً يُدخِلُ بعض النصوص من خلاله إلى ساحة المُقدَّس .. هذا التقييم هو - في النهاية - وضع أولئك الرجال في مرتبة أعلى من مرتبة النبي ﷺ .. وهو مُخالفٌ للنصِّ القرآني ذاته ..

.. فكيف يَسْمَحُ بعض اللاحقين لأنفسهم أن يجزوا بعد قرونٍ من الزمن ، بما لم يستطع النبي ﷺ ذاته أن يجزم به في عصره ؟!!! .. كلُّ ذلك فضلاً عن الروايات التي تُؤكِّدُ أنَّ رجالَ الجيلِ الأوَّلِ كان الكثيرُ منهم لا يثقون هم ببعضهم ، وأنَّه وقع بينهم الكثيرُ من أعمالِ القتل ، والتكذيب ، والاتهام بالخروج على الحق ، وذلك بين الكثيرين ممَّن ننظر إليهم بعين الثقة والاحترام ..

.. وهكذا .. فما يُسمى بعلم الجرح والتعديل ، ليس علماً مبنياً على براهين وأدلةٍ مستنبطةٍ من النصِّ المُطلق (القرآن الكريم) ، إنَّما هو مقارباتٌ تاريخيةٌ ، لا تخلوا من الأهواء والأخطاء والعصبيات المسبقة الصنع ، بل هي مقارباتٌ تاريخيةٌ مبنيةٌ من لبنات العصبيات المذهبية المسبقة الصنع التي أوجدت لخدمة منهج تراثيٍّ جمعي يضع التاريخ في

درجة موازية لكتاب الله تعالى ، ومن الجريمة الكبرى وضع هذه المقاربات التاريخية معياراً لمنهج تكفل الله تعالى بحفظه ..

.. كيف يُوصَفُ صحابيان بأنّهم ثقة ومن العدول ، في الوقت الذي تقاتلا فيه واتّهما بعضهما بالكذب والخروج على الحقّ ؟!!!!!! .. كيف يُوصَفُ صحابيان بأنّهم ثقة ومن العدول ، في الوقت الذي لا يعترف فيه كلّ منهما بأنّ الآخر ثقة وأهل لتبليغ المنهج !!! .. ألم نرَ الحديثَ التالي ..

مسلم (٣٩١٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَهْتَدُوا وَأُضِلَّ أَلَا وَإِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْقَطَعَ شَيْءٌ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا وَحَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسَهَّرٍ أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي رَزِينٍ وَأَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِذَا الْمَعْنَى

.. فإن كان الراوي الأوّل صادقاً كما زكاه مسلم ، فإنّ أبا هريرة يكذب على

الرسول ﷺ ، فالرواية تقول : [[خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَهْتَدُوا وَأُضِلَّ]] ، والرواية ليست على الشكل : [[خَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو هُرَيْرَةَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَهْتَدُوا وَأُضِلَّ]] .. إذا .. الراوي أحد الذين يتّهمون أبا هريرة بالكذب على الرسول ﷺ ..

.. وإن كان الراوي الأوّل كاذباً فالمشكلة لا تتغيّر ، كون هذا الراوي ممّن اعتبره

مسلم عدلاً يُؤخذ عنه !!! .. وإن كان الرواة الأخر بعد الأوّل كاذبين أو حتى صادقين ، فنحن أمام حقيقة تُؤكّد أنّ إمكانية الكذب على الرسول ﷺ موجودة حتّى بين أفراد الجيل

الأوّل ذاتهم ، وموجودة فيمن حدّث عنهم ، وموجودة فيمن حدّث عمّن حدّث عمّن حدّث عنهم ..

.. ألم نر الحديث التالي ..

أحمد (١٩٠٤٧) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنَا أَبُو هَارُونَ الْغَنَوِيُّ عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ أَيُّ مُطَرِّفٍ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَرَى أَنِّي لَوْ شِئْتُ حَدَّثْتُ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ لَا أُعِيدُ حَدِيثًا ثُمَّ لَقَدْ زَادَنِي بَطْنًا عَنْ ذَلِكَ وَكَرَاهِيَةً لَهُ أَنَّ رَجَالَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِدَتْ كَمَا شَهِدُوا وَسَمِعَتْ كَمَا سَمِعُوا يُحَدِّثُونَ أَحَادِيثَ مَا هِيَ كَمَا يَقُولُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمْ لَا يَأْلُونَ عَنِ الْخَيْرِ فَأَخَافُ أَنْ يُشَبَّهَ لِي كَمَا شَبَّهَ لَهُمْ فَكَانَ أَحْيَانًا يَقُولُ لَوْ حَدَّثْتُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا وَكَذَا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ صَدَقْتُ وَأَحْيَانًا يَعْزِمُ فَيَقُولُ سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي هَارُونَ الْغَنَوِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي هَانِئُ الْأَعْوَرُ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ عِمْرَانَ هُوَ ابْنُ حُصَيْنٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ فَاسْتَحْسَنَهُ وَقَالَ زَادَ فِيهِ رَجُلًا

.. ألا تحمل العبارات : [[أن رجلاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أو من

بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم شهدت كما شهدوا وسمعت كما سمعوا يُحَدِّثُونَ أَحَادِيثَ مَا هِيَ كَمَا يَقُولُونَ]] ، ألا تحمل دليلاً على أن الوضع بدأ في الجيل الأوّل وعلى لسان بعض أصحاب النبي ﷺ حسب تعريفهم هم للصحابة ، وذلك بشهادة صحابي منهم .. ؟

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا

وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] .. ألم يقل النبي :

البخاري (٣٠) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَيُوسُفُ عَنْ الْحَسَنِ
عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ دَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِينِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قُلْتُ
أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ قَالَ ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا التَقَى
الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ
الْمَقْتُولِ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ
ألم يقل النبي ﷺ :

البخاري (٤٦) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرَعَةَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ زُبَيْدٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنِ الْمُرْجِيَّةِ
فَقَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ
ألم يلتق في معركة الجمل وصفين وغيرهما معظم الصحابة بسيوفهم !!!؟ .. ألم تُقَطَّعْ
أعناقُ الكثيرين منهم على أيدي بعضهم !!!؟ .. ألم يذهب إلى الاقتتال بسيوفهما في سبيل
تلك الفتن عليٍّ وطلحة والزبير !!!؟ .. ألم يُقْتَلْ في سبيل تلك المعارك وبسببها وفي مناخها
طلحة والزبير !!!؟ ..

.. ألم نرَ في المحطَّةِ السابقة أن ابنَ عُمَرَ يقولُ في الصحاح ذاتها في فتنة ابن الزبير :
[[وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِعَیْرِ اللَّهِ]] ، ويقولُ أيضاً في
عصره : [[كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً
وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمَلِكِ]] .. ألم نرَ أن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانَ يقولُ في الصحاح ذاتها عن
بعضِ رجالِ عصره : [[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرُّ مَنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَأَنْوَاعِ يَوْمَئِذٍ يُسْرُونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ]] ، ويقولُ أيضاً : [[إِنَّمَا كَانَ النَّفَاقُ عَلَى
عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ]]
.. بعد كلِّ هذه الحقائق .. كيف يكون من التقوا بسيوفهم فقتلوا أو قتلوا كيف
يكونون جميعاً وفي الوقت ذاته شهداء بناءً على الحديث التالي :

مسلم : (٤٤٣٨) :

و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اهُدُوا فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ

.. وكيف يكون من التقوا بسيوفهم فقتلوا أو قتلوا ، كيف يكونون جميعاً وفي

الوقت ذاته في الجنة بناءً على الحديث التالي :

أحمد (١٥٨٥) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَّاورِدِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَبْنُ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ

.. هل هذه الروايات غير صحيحة ؟ .. أم أن التاريخ مُلْفَق ؟ .. أم علينا أن نُغَيِّرَ

قواعد اللغة العربية وقواميس مفرداتها لنستطيع التوفيق بين هذه المتناقضات ؟!!! .. أم أن

الصحابة ذهبوا بسيوفهم وحيولهم إلى موقعي الجمل وصفين وغيرهما ليتدارسوا كتاب الله

تعالى ؟!!! .. أم علينا أن نُطَلِّقَ عقولنا ونقرأ هذه الروايات دون إدراك دلالات صياغتها

اللغوية .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. إنَّ أفضلَ تعريفٍ للصحبة هو التعريفُ الذي نستنبطُه من كتابِ الله تعالى .. ولو

نظرنا في كتاب الله تعالى في مشتقات الجذر اللغوي (ص ، ح ، ب) ، لرأيناها ليست

مقتصرةً على جانب الخير أو على جانب الشر .. فهي تُصوِّرُ لنا أوجهَ الخير والشر على

حدِّ سواء بين الصاحبين .. فالصاحبُ لا يقتضي ماثلةً صاحبه عقيدةً وفكراً وأخلاقاً ،

ولا يعني هذا أنه يناقضه في ذلك .. ففي قوله تعالى :

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۗ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠]

.. في هذه الآية الكريمة نرى الوجه الإيجابي للصحبة .. فرسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق ، كانا صاحبين كما يقول الله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾ ، والعبارة القرآنية : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، شهادة على هذا الوجه الإيجابي للصحبة .. وفي المقابل للنظر في النص القرآني التالي لنرى الوجه السلبي للصحبة :

﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۖ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۚ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۗ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۗ ﴾ [الكهف : ٣٤ - ٣٨] ..

.. إننا نرى بوضوح أن الصحبة بين هذين الرجلين : ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ كانت موجودة مع أئهما على طرفي نقيض في العقيدة والفكر ..

.. إذاً علينا ألا نطلق عقولنا ونحن نقرأ آيات كتاب الله تعالى .. أي علينا ألا ننظر إلى آيات كتاب الله تعالى من مناظير الروايات التاريخية وأوهام عابدي أصنام التاريخ فالآية الكريمة :

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَسَنِ رِضْوَانِ اللَّهِ مِنْهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

.. هذه الآية الكريمة لا تعني كل من صاحب النبي ﷺ كما يذهب الكثيرون ، ولا بأي وجه من الأوجه التي يمكننا أن نتصورها .. ففي حال حمل دلالات هذه الآية الكريمة على الحمل التاريخي الذي لا يتجاوز الجيل الأول ، نرى أن كلمة ﴿ من ﴾ في العبارة القرآنية : ﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ تعني جزءاً من المهاجرين والأنصار ، ولا تعني كل المهاجرين والأنصار ، فكلمة ﴿ من ﴾ - وفق هذا الحمل التاريخي - تفيد التبعض ولا تفيد التبيين .. وكيف تفيد التبيين لتشمل كل الصحابة وهناك من مرد على النفاق من أفراد الجيل الأول ممن عاش مع النبي ﷺ في المدينة ، دون أن يعلم النبي نفاقهم الذي مردوا عليه ، كما يؤكد الله تعالى في الآية التالية مباشرة لهذه الآية الكريمة ..

﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ عَظِيمٍ [التوبة : ١٠٠ - ١٠١]

.. ألا تنطبق تعاريف الصحابة التي وضعوها على المعنيين بقوله تعالى ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾ من الآية الثانية ؟!!! .. أليس أهل المدينة هم من المهاجرين والأنصار ؟!!! .. فكيف بنا أن نتصور هؤلاء الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة ، كيف نتصورهم مشمولين مع الذين رضي الله تعالى عنهم ، والمعنيين بالعبارة القرآنية ﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ من الآية الأولى ؟!!! .. كيف يتم فصل دلالات الآية الأولى عن الثانية في هاتين الآيتين ، للذهاب بدلالات الآية الأولى

مذاهب لا تحملها لا من قريب ولا من بعيد ، لذرّ الرماد في الأعين ، ولتقديم رجالات الجيل الأوّل أصناماً لا يجوز الاقتراب منها !!!؟ ..

.. وفي العبارة القرآنيّة ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ ، نرى أنّ كلمة ﴿ اتَّبَعُوهُمْ ﴾ ترد بصيغة الماضي ، وبذلك تحمل دلالاتٍ تتجاوز الجانب التاريخي الذي فسّرت به هذه الآية الكريمة .. فلو كانت دلالات هذه الآية الكريمة لا تتجاوز الإطار التاريخي الذي فسّرت به ، لكانت على الشكل : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُمْ بِإِحْسَانٍ) ، أي بورود كلمة (يَتَّبِعُونَهُمْ) بصيغة المضارع بدل كلمة ﴿ اتَّبَعُوهُمْ ﴾ بصيغة الماضي .. ففرض الدلالة التاريخيّة على العبارة القرآنيّة ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ﴾ ، بحيث لا تعني إلاّ الجيل الأوّل ، يقتضي وصف من يتبعهم لاحقاً بصيغة المضارع وليس الماضي ، فهذه الآية الكريمة نزلت زمن الجيل الأوّل ، ومُتبعو الجيل الأوّل هم لاحقون لهم وليسوا سابقين ، وبالتالي سيتبعونهم بعد نزول هذه الآية الكريمة ، وكلّ ذلك تناسبه صيغة المضارع وليس الماضي ..

.. نقرأ من كلّ ذلك أنّ العبارة القرآنيّة ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ﴾ تحمل دلالات

تتجاوز الإطار التاريخي لتشمل صفةً مجردةً عن التاريخ .. فالسبق المعني هو سبقٌ إيمانيّ ، وهو سبقٌ خلاصٍ ونقاءٍ وقربٍ من الله سبحانه وتعالى ، من الممكن أن يدخل ساحتَه أيُّ إنسانٍ في كلّ زمانٍ ومكانٍ حينما يُحقّق متطلبات هذا سبق ... وما نراه أنّ كلمة ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴾ بهذه الحيثيّة من الصياغة - وذلك بكونها جمعاً لاسم فاعل - تقوي هذا المذهب من التفسير ، فالسبق المعني هو عملٌ يقوم به فاعلٌ له ، من خلاصٍ ونقاءٍ وقربٍ من الله سبحانه وتعالى .. وكلّ ذلك مسألة ليست مؤطّرة في إطارٍ تاريخيٍّ خاصٍّ بجيلٍ محدّدٍ دون غيره ..

وكلمة ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴾ في كتاب الله تعالى ، وردت بدلالاتٍ مجردةٍ عن السبق التاريخي ، حاملةً معنى السبق الإيماني والقربي من الله سبحانه وتعالى .. يقول تعالى ..

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٥﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٦﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ١٠ - ١٤] .. فالمعنيون بالصفة التي يحملها قوله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ ، ليسوا ضمن إطار جيلٍ محدّدٍ دون غيره ، وإلاّ كيف بنا أن نفهم قوله تعالى ﴿ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ ؟ ..

.. ونقرأ - أيضاً - أن دلالات العبارة القرآنية ﴿ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ تحمل دلالاتٍ مجردةً عن أحداث التاريخ ، لتبيّن لنا ماهية السبق المعنيّ بالعبارة السابقة لها ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ ﴾ ، وذلك من هجرٍ لكل ما ينهى الله تعالى عنه ومن نصرٍ لكل ما يريده الله تعالى .. فعلى هذا التفسير تحمل كلمة ﴿ مِنْ ﴾ في العبارة ﴿ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ ، معنى التبيين ، وعلى هذا المحمل من التفسير نستطيع مقارنة معنى التبيين في كلمة ﴿ مِنْ ﴾ ، من العبارة القرآنية ﴿ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ ، مع معنى التبيين في كلمة ﴿ مِنْ ﴾ من العبارة القرآنية ﴿ فَأَجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَنِ ﴾ [الحج : ٣٠] ..

.. إن معنى التبيين يتعلّق بإطلاق دلالات العبارة القرآنية وعدم حصرها في إطارٍ تاريخيٍّ محدّد ، وبالتالي فالقول بأن كلمة ﴿ مِنْ ﴾ في العبارة ﴿ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ ، تحمل معنى التبيين دون التبعض ، مع حمل الآية الكريمة على محملٍ تاريخيٍّ لا يتجاوز أفرادَ الجيل الأوّل كما يذهب عابدهو أصنام التاريخ ، مقارنةً مع العبارة القرآنية ﴿ فَأَجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَنِ ﴾ [الحج : ٣٠] ، هذا القول ليس سليماً ولا بأيّ وجهٍ من الأوجه ، لأن العبارة القرآنية ﴿ فَأَجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَنِ ﴾ تحمل دلالاتٍ فوق التاريخ والزمان والمكان ..

إذا .. كلمة ﴿ مِنْ ﴾ في العبارة القرآنية ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ تحملُ معنى التبويض دون التبيين في حالِ حَمَلِ الآيةِ الكريمة على المحمل التاريخي ، وتحملُ معنى التبيين في حالِ حملِ الآيةِ الكريمة على محملِ الإطلاق الذي يتجاوز التاريخ .. وفي كلتا الحالتين نرى أن العبارة القرآنية ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ لا تعني جميع الصحابة كما يريدُ عابِدو أصنام التاريخ .. والأولى في تفسير هذه العبارة القرآنية هو إطلاقها لتشمل دالاتٍ تتجاوز التاريخَ والزمانَ والمكانَ ، وليكون لها ساحاتُ اتباع في كلِّ زمانٍ ومكان ، شأنها بذلك شأن كلِّ آياتِ كتابِ الله تعالى ..

.. ثمَّ كيف يمكننا أن نتصوّرَ أن هذه الآيةِ الكريمة تعني جميع الصحابة (حسب تعريفهم هم للصحابة) ، في الوقت الذي نقرأ فيه الآية التالية لها مباشرة : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ ؟!!!!!! ..

.. وكيف يمكننا أن نتصوّرَ أن هذه الآيةِ الكريمة تعني جميع الصحابة ، ونحن نقرأ الآية التالية التي تؤكدُ أن الكثيرين من أفراد الجيل الأول - ممن تنطبق عليهم تعاريفهم هم للصحابة - سينقلبون على أعقابهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

.. نعم هذه الآيةُ الكريمة تعني انقلاباً على الأعقاب بالنسبة للكثيرين من أبناء الجيل الأول بعد موت النبي ﷺ ، وفي المحطّة السابقة وقفنا عند صياغتها اللغوية ، التي تؤكدُ أن الانقلابَ على الأعقاب كان من قِبَلِ الكثيرين من أفرادِ الجيل الأول الذين لم يكونوا كذلك أثناء حياة النبي ﷺ .. والأحاديث التالية في الصحاح ذاتها تؤكدُ ذلك ..

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيَحْلَتُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى وَقَالَ شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَجْلُونَ وَقَالَ عَقِيلٌ فَيَحْلَتُونَ وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البخاري (٦٠٩٠) :

و حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِيَ رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لِيُخْتَلَجَنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ تَابَعَهُ عَاصِمٌ عَنْ أَبِي وَائِلٍ وَقَالَ حُصَيْنٌ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُدَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البخاري (٣١٠٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا ثُمَّ قَرَأَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ وَإِنَّ أَناسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي إِلَى قَوْلِهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

البخاري (٣١٩١) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ

غُرًّا ثُمَّ قَرَأَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفَرَبَرِيُّ ذَكَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ قَبِيصَةَ قَالَ هُمْ الْمُرْتَدُونَ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَيَّ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ فَقَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

البخاري (٦١٠٤) :

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِعَدِكَ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَيَّ أَعْقَابَهُمْ فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَيَّ أَعْقَابَنَا أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ تَرْجِعُونَ عَلَيَّ الْعَقَبِ

مسلم (٤٢٤٦) :

و حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ عَنْ ابْنِ حُنَيْمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِهِ إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ فَوَاللَّهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ فَلَأَقُولَنَّ أَيُّ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بِعَدِكَ مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَيَّ أَعْقَابَهُمْ

مسلم (٤٢٤٥) :

قَالَ وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَِّّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤَخِّدُ أَنَا سُ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيَقَالُ أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِعَدِكَ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا بِعَدِكَ يَرْجِعُونَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ قَالَ فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَيَّ أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا

مسلم (٤٢٥٩) :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا عَفَانُ بْنُ مُسْلِمٍ الصَّفَّارُ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ صَهْبِيٍّ يُحَدِّثُ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِيُرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحِبَنِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلَجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ أَيُّ رَبِّ أَصِحَابِي أَصِحَابِي فَلَيُقَالَنَّ لِي إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بِعَدِكَ وَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ وَ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ فَضَيْلٍ جَمِيعًا عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ عَنِ أَنَسِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْمَعْنَى وَزَادَ آيَاتُهُ عَدَدَ النُّجُومِ

مسلم (٣٦٧) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ جَمِيعًا عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَوَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا قَالُوا أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدَ فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غَرَّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهُمُ بِهِمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غَرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَيَّ الْحَوْضِ أَلَا لِيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنِ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيَقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بِعَدِكَ فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الدَّرَّاورِدِيَّ ح وَ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا مَعْنُ حَدَّثَنَا مَالِكُ جَمِيعًا عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَقَالَ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ بِمِثْلِ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ
غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَ مَالِكٍ فَلْيَدَاذَنَنَّ رَجَالٌ عَن حَوْضِي

مسند أحمد (١٩٥٩٠) :

حَدَّثَنَا عَفَانٌ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رَجَالٌ مِمَّنْ صَحْبَنِي وَرَأَيْتَنِي حَتَّى
إِذَا رُفِعُوا إِلَيَّ وَرَأَيْتَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ رَبُّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي
مَا أَحَدْتُّوَا بَعْدَكَ

مسند أحمد (١٩٦٠٢) :

وَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَرِدَنَّ الْحَوْضَ عَلَيَّ رَجَالٌ مِمَّنْ
صَحْبَنِي وَرَأَيْتَنِي فَيُرْفَعُونَ إِلَيَّ وَرَأَيْتَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيُقَالُ
إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُّوَا بَعْدَكَ

سنن الترمذي (٢٣٤٧) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانَ
عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْشَرُ النَّاسُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا كَمَا خُلِقُوا ثُمَّ قَرَأَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا
فَاعِلِينَ وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْخَلَائِقِ إِبْرَاهِيمُ وَيُؤْخَذُ مِنْ أَصْحَابِي بِرَجَالِ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ
الشَّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبُّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُّوَا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ
عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ
لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ فَذَكَرَ نَحْوَهُ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ
حَسَنٌ صَحِيحٌ

.. إن عرضنا لبعض الأحاديث التي تُبين أن بعض رجال الجيل الأول سينقلبون

ويرتدون على أعقابهم بعد وفاة النبي ﷺ ، وسيبدلون بعد النبي ﷺ .. هذا العرض لا يعني

إلا أنّ الصحابة (بما فيهم أهل البيت) بشرٌ يُصيبون ويُخطئون كغيرهم من البشر ، وأنّه لا يمكنُ الجزمُ بعدالةِ جميعهم ، ولا يمكنُ لأحدٍ - بعدَ قرونٍ من موتهم - أن يُصنّفهم بدرجاتٍ لم يكن ﷺ ذاته ليصنّفهم بها .. ومن يتوهّم من عرضنا لهذه الأحاديث أنّنا نهدف إلى الإساءة لهم ، فتوهّمه هذا دليلنا على أنّهم عنده أصنامٌ لا يجوز الاقترابُ منها ، وأنّ منهجَ الله تعالى عنده ليس غايةً ، إنّما هو وسيلةٌ غايتهما التاريخُ برجاله ورواياته ، وخوفُهُ من عرضنا لهذه الأحاديث دليلٌ على أنّها تحملُ مشكلةً لما يعتقدُ به ، وبالتالي لا يُريدُ إيصالَ هذه الروايات إلى الناس ..

.. وكلّ التبريرات التي يقومُ بها عابدو أصنام التاريخ لذرّ الرماد في العين من أجل إفراغ هذه الروايات من محتواها ، ليست أكثر من مناورات تهدف إلى إلغاء العقل من أساسه .. ففي هذه الروايات نرى أنّ النبي ﷺ يصف هؤلاء الذين ارتدوا على أعقابهم بعد وفاته ، يصفهم بأنّهم أصحابه وبأنّهم من أمته .. فالعبارة الواردة في هذه الأحاديث : [[فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَنْ مَنِّي وَمِنْ أُمَّتِي]] ، والعبارة : [[فَلَأَقُولَنَّ رَبِّ أَسْحَابِي أَسْحَابِي]] ، والعبارة : [[فَأَقُولُ أَسْحَابِي أَسْحَابِي]] .. كلُّ ذلك يؤكّد أنّ هؤلاء ممن لم يتوقع ﷺ منهم التبديلَ والتغير ، أي أنّهم ممن كان مخدوعاً بهم .. فقولهُ ﷺ : [[فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا]] وقوله ﷺ : [[فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]] .. هذا القولُ يؤكّد أنّهُ ﷺ يتحدّث عن رجالٍ كان مخدوعاً بهم .. ولسنا مُستعدّين لأن نُطلقَ عقولنا ونقبل بتأويل هذه الأحاديث تأويلات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، ولا وجودَ لها في حيثيات صياغة عبارات هذه الروايات ..

.. لو كانت فرضية عدالة الصحابة - كما يعرضونها - صحيحة ، وأنّ الصحابة كلّ الصحابة عدولٌ لمجرّد كونهم صحابة ، لو كان ذلك صحيحاً لمنعت تلك العدالة وقوع معركة الجمل وصفين وغيرها ممّا أدى إلى قطع رؤوس عشرات الآلاف من الصحابة على أيدي إخوانهم من الصحابة ..

.. لو كانت فرضية عدالة الصحابة - كما يعرضونها - صحيحة ، لمنعت تلك العدالة تحويل الخلافة إلى نظام حكمٍ قسريٍّ على يد معاوية بن أبي سفيان ، ومن ثمَّ استمرار ذلك قرونًا من الزمن في الدولتين الأموية والعباسية ، حيث يُعتبر الابنُ أميراً للمؤمنين فقط لأثمه وُلدَ ابناً لوالده الذي ورث هذه الصفة من أبيه كما ورث العقارات والأموال ، دون أيِّ اعتبار لقوله تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] ..

.. لو كانت فرضية عدالة الصحابة - كما يعرضونها - صحيحة ، لمنعت تلك العدالة تمزيق الأمة إلى مذاهب وطوائف متناحرة ، حيث الحامل الفكري لتلك الطوائف والمذاهب مبنيٌّ على الخلافات التي حصلت بين أفراد الجيل الأول وما تبعهم ، كلُّ طائفة أو مذهب يتعلّق فكرياً بما يُنسب لفرد أو مجموعة من السابقين ..

.. إذاً .. فرضية عدالة جميع الصحابة ، بمعنى إضفاء صفة الأمانة في النقل على كلِّ من ثبتت صحبته للنبي ﷺ حسب ما تعارفوا عليه في مسألة الصحبة .. وما يُسمّى بعلم الجرح والتعديل وما يتضمّن من تقييم الرجال اللاحقين للرجال السابقين .. وما يصنّف المصنّفون من درجات يضعون الصحابة بها ... كلُّ هذه الفرضيات صناعةٌ بشريةٌ أنتجت بعد قرون من موت النبي ﷺ ومن موت رجالات الجيل الأول .. وهي صناعةٌ لا تمتُّ للعلم الحقيقي بشيء ، لأنها مبنيةٌ على مقاربات تاريخية مليئة بالاهواء والعصبيات المسبقة الصنع ..

.. لننظر في الحديث التالي لنرى كيف أنّ ابن عباس يَأبى عن قولٍ يُنسبُ للنبي ﷺ ، محتجاً بكتاب الله تعالى ..

البخاري (٥١٠٣) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرُو قُلْتُ لِحَبِيبِ بْنِ زَيْدٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ حُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ فَقَالَ قَدْ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغَفَارِيُّ عِنْدَنَا بِالْبَصْرَةِ وَلَكِنْ أَبِي ذَلِكَ الْبَحْرُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَرَأَ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا

.. أليست العبارة : **[[وَلَكِنْ أَبِي ذَاكَ الْبَحْرُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَرَأَ قُلُوبًا لَمْ أَجِدْ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا]]** تُبين لنا عدم تصديق ابن عباس لرواية منسوبة للرسول ﷺ ، بمعنى لم يُصدّق الرجال الحاملين لهذه الرواية ، معتمداً في ذلك على كتاب الله تعالى ..

.. لا يُمكننا أن نُلغي الجانبَ البشريّ في أفراد الجيل الأول بما يحملُ من شك ، حتّى في تفاعلهم مع النبيّ ﷺ ، لننظر إلى الحديث التالي :

البخاري (٣٠٣٩) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيْبٍ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَاتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَأَنْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمْ سُوءًا أَوْ قَالَ شَيْئًا

.. هذان الرجلان من الأنصار ، ألا تنطبق عليهما تعاريف الصحابي ؟!!! .. ولماذا أسرعاً عندما رأى النبي ﷺ ؟!!! .. وهل كانا سيسرعان لو لم تكن صفة مع النبي ؟!!! .. ولماذا قال لهما النبي : **[[عَلَى رَسُولِكُمْ إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيْبٍ]]** ؟!!! .. ولماذا قال النبي ﷺ : **[[إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمْ سُوءًا أَوْ قَالَ شَيْئًا]]** ؟!!! .. ولماذا تُذكرُ هذه الرواية إن لم تصفُ الجانبَ البشريّ في تفاعل الصحابة حتى مع النبي ﷺ ؟!!! ..

.. لننظر إلى الأحاديث التالية لنرى شيئاً من الجانب البشري في نفوس أفراد الجيل الأول حتى أثناء وجودهم في حضرة النبي ﷺ :

البخاري (٥٧٦٠) :

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَرْدَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ يَوْمَ الذَّحْرِ خَلْفَهُ عَلَى عَجْزِ رَاحِلَتِهِ وَكَانَ الْفَضْلُ رَجُلًا وَضِيئًا فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ يُفْتِيهِمْ وَأَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِنْ خَنَعَمَ وَضِيئَةٌ تَسْتَفْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَأَخْلَفَ بِيَدِهِ فَأَخَذَ بِدَقْنِ الْفَضْلِ فَعَدَلَ وَجْهَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ فِي الْحَجِّ عَلَى عِبَادِهِ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحْجَّ عَنْهُ قَالَ نَعَمْ

مسلم (٣٠١٢) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ عَنْ يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ سَعِيدٍ قَالَ كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ يُحَدِّثُ أَنَّ مَعْمَرًا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ فَقِيلَ لِسَعِيدٍ فَإِنَّكَ تَحْتَكِرُ قَالَ سَعِيدٌ إِنَّ مَعْمَرًا الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ كَانَ يَحْتَكِرُ

البخاري (٤٠١٩) :

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ أَخْبَرَهُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَمْرُ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبِدٍ بْنِ زُرَّارَةَ قَالَ عُمَرُ بِلْ أَمْرُ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ مَا أَرَدْتُ إِلَّا خِلَافِي قَالَ عُمَرُ مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَتَمَارِيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمَا فَزَلَّ فِي ذَلِكَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا حَتَّى انْقَضَتْ

البخاري (٤٤١٤) :

حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَ هِشَامُ حَدَّثَنَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبَنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقُولُ أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ قُلْتُ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ

البخاري (٦٢٥) :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى قَالَ أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ مَعْمَرِ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ لَمَّا ثَقَلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يَمْرُضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخَطُّ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ وَكَانَ بَيْنَ الْعَبَّاسِ وَرَجُلٍ آخَرَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عَبَّاسٍ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَالَ لِي وَهَلْ تَدْرِي مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ تَسْمَعْ عَائِشَةَ قُلْتُ لَا قَالَ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

البخاري (٢٣٩٣) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ حِزْبَيْنِ فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسُودَةُ وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمَّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عِلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْرَاهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمَّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا كَلِمِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ فَكَلَّمَتْهُ أُمَّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا فَقُلْنَ لَهَا فَكَلَّمِيهِ قَالَتْ فَكَلَّمْتُهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا فَقُلْنَ لَهَا كَلِمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكَ فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثُوبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ قَالَتْ فَقَالَتْ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَّكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ يَا بُنَيَّةُ أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ قَالَتْ بَلَى فَرَجَعْتَ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرْتَهُنَّ فَقُلْنَ أَرْجِعِي إِلَيْهِ فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ فَأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ وَقَالَتْ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَّكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَالَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ قَالَ فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَتَتْهَا قَالَتْ فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَائِشَةَ

وَقَالَ إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ الْبَحَارِيُّ الْكَلَامُ الْأَخِيرُ قِصَّةَ فَاطِمَةَ يُذَكِّرُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ رَجُلٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَقَالَ أَبُو مَرْوَانَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ عُرْوَةَ كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهِدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَعَنْ هِشَامٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَرَجُلٍ مِنَ الْمَوَالِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ قَالَتْ عَائِشَةُ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنْتُ فَاطِمَةَ

.. هذه الرواية الأخيرة ومن منظار أولي الأبواب تَضَعُ عابدي أصنام التاريخ في موقفٍ لا يُحَسِّدُونَ عليه .. فإن كانت هذه الرواية صحيحة وَيُكْفَرُ مِنْ يُنْكَرُهَا لكونها في الصحاح حسب ما يخطبون على الناس ، فإن فاطمة بنت مُحَمَّدٍ ﷺ تقولُ لأبيها بناءً على طلب نِسائه : **[[إِنْ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ]]** ، وفي هذا اتِّهَامٌ للنبي ﷺ من زوجته أنه ليس عادلاً ، وماذا كانت إجابة النبي حسب هذه الرواية ، كانت الإجابة : **[[يَا بِنْتِ أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ]]** ، وأيضاً زوجته زينب بنت جحش أتته فأغلظت وقالت له : **[[إِنْ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ]]** ، وفي هذا تأكيدٌ للاتِّهَامِ ، وبعد ذلك رَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاطَلَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتَهَا ، والأهم من كُلِّ ذلك هو موقفُ النبي من هذه الأمور ، وهو أنه كان ينظر إلى أن تردَّ عائشة عليها حتى رَدَّتْ وَأَسَكَّتْهَا ..

.. هل هذه القِصَّةُ تليقُ بمن يصفُهُ اللهُ تعالى في كتابه الكريم بقوله : **﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى**

خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] !!!؟ .. هل هذه القِصَّةُ تتناسبُ مع تقدسهم لأفرادِ الجيلِ الأوَّلِ الذي يشمل فيما يشمل أزواجَ النبي ﷺ !!!؟ .. ولماذا يخافون من قراءةٍ مثل هذه الروايات على الناس إن كانت جزءاً من المقدَّس كما يزعمون !!!؟ .. وإن كانت الرواية غير صحيحة ، فلماذا تُرْفَعُ هي ومثيلاًتها إلى درجة المقدَّس !!!؟ .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. عندما ننظرُ إلى رجالِ الجيلِ الأوَّلِ على اتِّهَامِ رجال ، وأنَّ ما وصلنا عنهم هو جزءٌ من التاريخ لا يمكنُ رَفْعُهُ إلى درجةِ النصِّ المقدَّس ، وأنَّ قيمته هي من موافقته لدلالات كتاب الله تعالى .. حين ذلك فقط لا نكون كالمعنيين بقوله تعالى ..

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿ [الزخرف : ٢٢ - ٢٣]

.. عندما نضع القرآن أمام أعيننا وليس خلف ظهورنا .. عندما نعتقد أنه ليس ناقصاً تُكمله الروايات .. عندما نعتقد أن التاريخ برجاله ورواياته ليس حجة على كتاب الله تعالى ، وأن كتاب الله تعالى هو المعيار للتاريخ وليس العكس .. عندما نرى كتاب الله تعالى بعين العقل والتدبر المجرد عن التاريخ برجاله ورواياته .. عندما ندرك أن كل هذه العصبية المذهبية والطائفية ليست نتاجاً علمياً استنباطياً من منهج الله تعالى ، وأنّها ليست إلا نتاجاً سياسياً لبعض منعطفات التاريخ .. حين ذلك فقط لا نكون كالمعنيين بقوله تعالى :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١]

.. وحين ذلك ندرك أن قول الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يصف عابدي أصنام التاريخ من المحسوبين على الرسالة الخاتمة بدرجة لا تقل عن الدرجة التي يصف بها أهل الكتاب ..

.. المنهج الحق الذي تكفل الله تعالى بحفظه يحمل التاريخ بأعماقه ، ولا يُحمَلُ بالتاريخ وأدواته ورجالاته .. وفي منهج الرسالة الخاتمة الصالح لكل زمان ومكان ، لا يحقّ لجليل أن ينوب عن الأمة إلى قيام الساعة ، تدبراً وتأطيراً لأحكام المنهج وفهم دلالته .. وإلا كيف بنا أن ندرك دلالات كتاب الله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِيٰٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣]

.. وإلا كيف بنا أن نفهم دلالات قوله تعالى :

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص : ٨٨]

.. بعد كل ما رأيناه من آياتٍ ورواياتٍ يتبين أمام أعيننا أنّ فرضية عدالة جميع الصحابة ، بمعنى أنّهم فوق الجرح ، وأنّه علينا أن نأخذ ما يُروى عن بعضهم عن الرسول ﷺ .. يتبين لنا أنّ هذه الفرضية عبارة عن وهم ، دون أن يعني ذلك أنّه لا يوجد عدلٌ بين الصحابة .. ما نعنيه أنّ فرضية عدالة الصحابة كما تُعرضُ فيما يُسمّى بعلوم الحديث ، هي وهمٌ وليست نظريةً علميةً تستند إلى كتاب الله تعالى والعقل والمنطق ..

المهندس
عدنان
الرفاعي